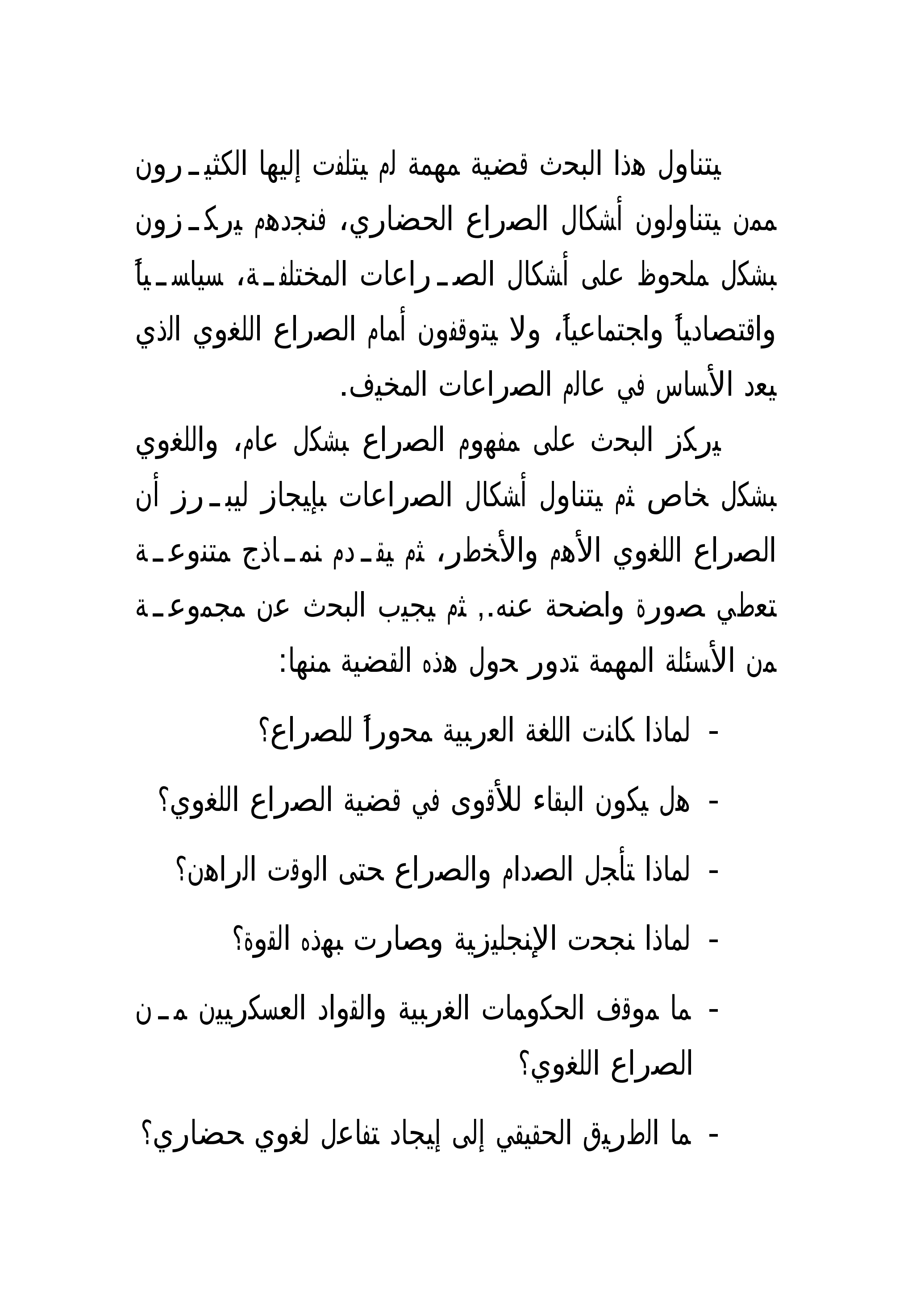
اللغة وصراع الحضارات

د. أحمد عفيفى

اللغة وصراع الحضارات

ا٠د أحمد عفيفى

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة



يتناول هذا البحث قضية مهمة لم يتلفت إليها الكثيرون ممن يتناولون أشكال الصراع الحضاري، فنجدهم يركزون بشكل ملحوظ على أشكال الصراعات المختلفة، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ولا يتوقفون أمام الصراع اللغوي الذي يعد الأساس في عالم الصراعات المخيف.

يركز البحث على مفهوم الصراع بشكل عام، واللغوي بشكل خاص ثم يتناول أشكال الصراعات بإيجاز ليبرز أن الصراع اللغوي الأهم والأخطر، ثم يقدم نماذج متنوعة تعطي صورة واضحة عنه., ثم يجيب البحث عن مجموعة من الأسئلة المهمة تدور حول هذه القضية منها:

- لماذا كانت اللغة العربية محوراً للصراع؟
- هل يكون البقاء للأقوى في قضية الصراع اللغوي؟
- لماذا تأجل الصدام والصراع حتى الوقت الراهن؟
- لماذا نجحت الإنجليزية وصارت بهذه القوة؟
- ما موقف الحكومات الغربية والقواد العسكريين من الصراع اللغوي؟
- ما الطريق الحقيقي إلى إيجاد تفاعل لغوي حضاري؟

أولا : معنى الصراع

تشير المعاجم اللغوية إلى أن معنى الفعل (صرع) أي؛ طرحه على الأرض، ونقول: صرعت الريح الزرع، فهو مصروع وصريع، وصارع الرجل عدوه، أي غالبه في المصارعة، وتصارع الرجلان، أي حاول أن يصرع كل واحد منهما الآخر.

وعلى هذا لا يمكن أن يعطى معنى الصراع دلالة المنافسة الشريفة فالصراع فيه غلبة تؤدى إلى الطرح على الأرض أو القتل. وربما تكون الكلمة قد بدأت بمعناها الحسى المشار إليه سابقاً، ثم انتهت إلى الدلالة المعنوية التي لا يقصد بها الطرح، بل يقصد بها الغلبة في الرأي. وربما يكون الصراع أشد من الصدام الذي أشار إليه صمويل هنتنجتون في عنوان كتابه the clash of civilizations والذي ترجمه زهير الشايب إلى (صدام الحضارات).

وإن كان الملاحظ أن كلمة (صراع) تكررت كثيراً بديلاً لكلمة (صدام) في فصول الكتاب المشار إليه.

مفهوم الصراع اللغوي.

هو خلق شعور قومي وإيجاد روح الانتماء والولاء للغة ما ضد لغة أخرى، بالتحريض ضـدها والمسـاعدة علـى ازدرائها، والحث على هدم لغة الآخر والنيل منها بإضعافها وخلق الكراهية للتحدث بها.

الصراع اللغوي سببه التعصب

ينبغي التأكيد على أن الإيمان بالدين أو اللغة أو الفكـر لحضارة ما ليس فيه ما يعاب، ولا يمنـع أن يكـون لـدى الإنسان مثل ما لدى غيره من قـيم ومبـادئ وفكـر، أمـا التعصب فهو تجاوز ذلك إلى الإيمان بضرورة هدم الآخـر بوسيلة ما استهانة بقيمه ومبادئه وثقافته.

ومن هنا ينبغي التفرقة بين الإيمان والتعصب.

الإيمان نابع من الوجدان والعقل، وهـو دافـع للحيـاة المتسمة بالحركة والتحرر مـع تقبـل آراء المخـالفين دون دحرها أو ازدرائها، ففي الإيمان بالشيء نوع من المشـاركة الفكرية دون هدم الآخر، أما **التعصـب** فيأتي من ضيق الأفق وإغلاق العقل والمصادرة على الفكر، وهو نوع من الانغلاق

على الذات، ويحتوي التعصب على كم كبير من النرجسـية وحب الذات.

أهمية تناول هذاالموضوع.

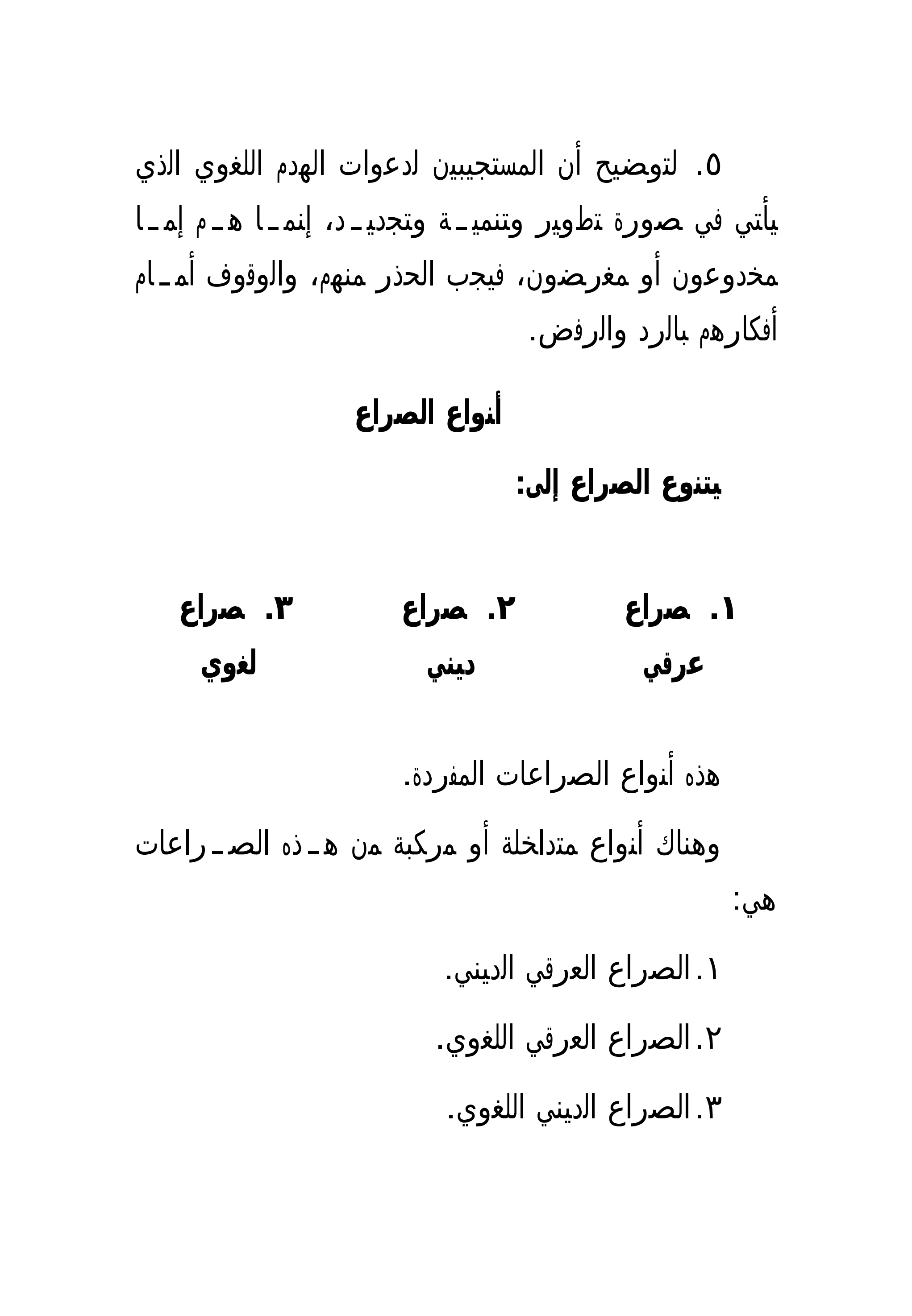
تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع لأسـباب كثيـرة منها:

١. البحث فيه وتأمله وتناول أبعاده من قبيـل زيـادة الوعي اللغوي بطبيعة التعصب والصـراع اللغـوي علـى مستوى العالم، فالصراع وإن كان خفياً إلاّ أنه خطير.

٢. التأكيد على أن الإيمان بالدين أو اللغـة أو الـوطن والتحيز لكل ذلك ليس جريمة علـى الإطـلاق شـريطة ألاّ أتعرض لهدم الآخر بتعصب أعمى بغيض.

٣. الإشارة إلى الدهاء في التخطيط للوصول إلى إلغاء الآخر بحضارته وتاريخه ولغته ...إلخ.

٤. لتوضيح أن الصراع اللغوي إنما هـو علـى قمـة الصراعات العالمية، حيث يؤكد ذلك مقولات الغربيين قـادة وشعوباً، وتنبيهاتهم للنيل من الآخر تثبت ذلك.



٥. لتوضيح أن المستجيبين لدعوات الهدم اللغوي الذي يأتي في صورة تطوير وتنمية وتجديد، إنما هم إما مخدوعون أو مغرضون، فيجب الحذر منهم، والوقوف أمام أفكارهم بالرد والرفض.

أنواع الصراع

يتنوع الصراع إلى:

١. صراع عرقي

٢. صراع ديني

٣. صراع لغوي

هذه أنواع الصراعات المفردة.

وهناك أنواع متداخلة أو مركبة من هذه الصراعات هي:

١. الصراع العرقي الديني.

٢. الصراع العرقي اللغوي.

٣. الصراع الديني اللغوي.

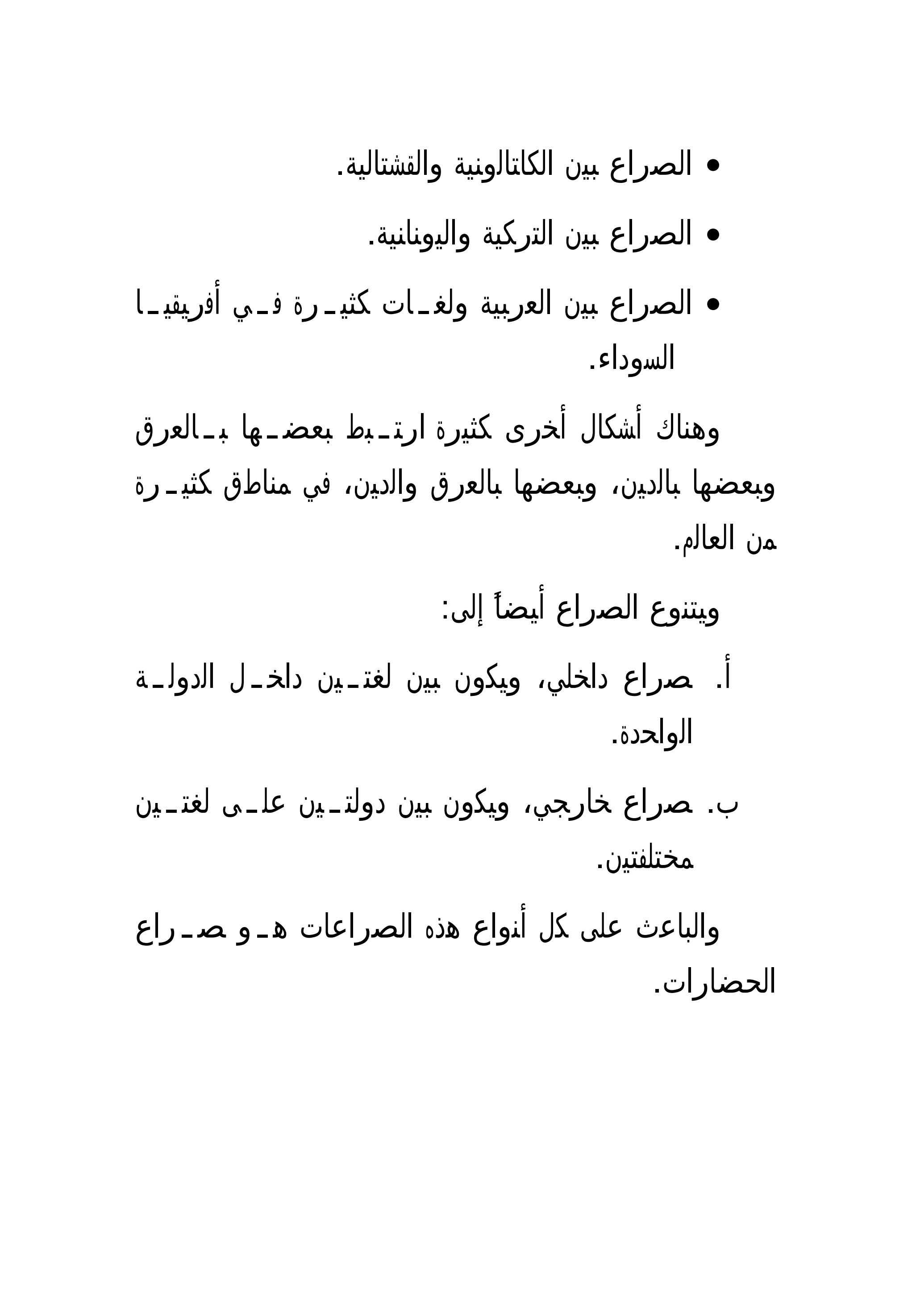
٤. الصراع العرقي الديني اللغوي. وهو قمة الصراعات

وسوف نتناول ما يتصل باللغة فقط لاتسـاع القضـية وترامي أبعادها وأشير إلى أنني سوف أتناول بعض نمـاذج الصراع، وليس القصد إحصاء كل أشكال الصراعات اللغوية على مستوى العالم، فالقضية كبيرة جـداً والهـدف التـدليل بنماذج دالة فقط؛ لأنني أدرك أنه ربما في كل بلـد أو إقلـيم توجد صراعات.

وهناك صراعات واضحة ونماذج لم أشر إليها.داخـل الصراع اللغوى؛ وذلك لتنامي أطـراف القضـية واتسـاع جوانبها.

من أشكال الصراعات اللغوية.

- الصراع بين الإنجليزية والفرنسية.
- الصراع بين العربية والإنجليزية.
- الصراع بين العربية والفرنسية.
- الصراع بين الهندية والإنجليزية.
- الصراع بين الفلامنكية والفرنسية



- الصراع بين الكاتالونية والقشتالية.
- الصراع بين التركية واليونانية.
- الصراع بين العربية ولغات كثيرة في أفريقيا السوداء.

وهناك أشكال أخرى كثيرة ارتبط بعضها بالعرق وبعضها بالدين، وبعضها بالعرق والدين، في مناطق كثيرة من العالم.

ويتنوع الصراع أيضاً إلى:

أ. صراع داخلي، ويكون بين لغتين داخل الدولة الواحدة.

ب. صراع خارجي، ويكون بين دولتين على لغتين مختلفتين.

والباعث على كل أنواع هذه الصراعات هو صراع الحضارات.

نماذج الصراع اللغوي العالمي

١) بين الإنجليزية والفرنسية

ومثال ذلك ما حدث في (معهد باستور) لاعتماد اللغـة الإنجليزية لغة بحث دون الفرنسية، فقد قررت إدارة المعهـد أن تصدر حولياتها باللغة الإنجليزية. ونشر خبر بهذا الشأن، ولم يمر مروراً عابراً كغيره من الأخبار، لقد ثـارت ثـائرة العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين واعتبـروا أن هـذا الأمر خطير جداً، ولا يمكن السكوت عليه، وانتفضت وسائل الإعلام للدفاع عن اللغة الفرنسية، فعلى غلاف مجلة (جـور دي فرانس)كتبت العبارة التالية : "**اللغة الفرنسية في خطر**". كذلك كتب على الغلاف : "**الجرثومة الإنجلوفونية في معهد باستور. ياللفضيحة**". أما ألبير جالكوار عالم الأجنة في معهد الدراسات الوطنية الديمغرافية فيقول: "**إنني شعرت بعقم بهذه الفضيحة .... اللغة الفرنسية لم تعد عند هؤلاء سوى لسان فئة منحطة من الشعب**" وطالب أن تقطع كـل المسـاعدات لمعهد باستور حتى يرجع عن قراره.

ورئيس الجمعية الوطنية للصحفيين المختصين في الإعلام الطبي: مارك غومير قال: **إذا كنا نحن الفرنسيين غير قادرين على الدفاع عن لغتنا في المحافل العلمية، فلا أحد يدافع عنها.**

أما الكاتبة(جيني فياف دورمان) فتؤكد أن موقف معهد باستور موقف مزعج لها ولغيرها. واعترضت على المضيفات اللاتي يقدمن معلومات عن رحلة الطائرات في الطيران الفرنسي باللغة الإنجليزية.

أما (مارك دانروز) مندوب اللجنة الفرنسية للتربية من أجل الصحة فيقول:

إن وراء اللغة ثقافة والمطلوب منا هو العثور على استراتيجية لا دفاعية فقط، بل البحث عن استراتيجية هجومية، وأشار إلى أن مصلحتنا في اللغة الإنجليزية أن نسيطر عليها ونتحكم فيها لتعريف أنفسنا وتعريف الآخرين بنا بواسطة هذه اللغة ولكن ليس على حساب شرفنا وكرامتنا وعلى المعهد أن يفرض لغتنا الفرنسية وبهذا نحترم أنفسنا.

أما (ليليان لابلان) رئيس تحرير الجريدة الطبية اليومية وعضو لجنة الدفاع عن اللغة الفرنسية، فقد وصف ما فعله معهد باستور (**بأنه عمل خطير ويمس بالسـمعة الوطنيـة لفرنسا وبهيبتها**) ودعا الأكاديمية الطبية بالشجب لما فعلـه معهد باستور، وأشار إلى أن اللغة الفرنسية تختفي تـدريجيا من المنابر الدولية، وبهذا لا يعد موقف معهد باستور عملا عارضا، وأشار إلى أن التخلي عن اللغة، إنما هو التخلي عن التراث الفرنسي الثقافي.

كتاب آخرون اقترحوا ضرورة تنظيم مظاهرة احتجاج أمام معهد باستور.

أما (شامفو) وهو أحد الوطنيين الفرنسيين فيقـول: **إن اللغة هي الوطن فلنكن مع الـوطن** وطالـب مـن جميـع المستشارين الثقافيين ضرورة إلغاء اشتراكاتهم فـي معهـد باستور تأديبا له.

ميشال دوبري (رئيس الوزراء الفرنسي السابق) قـال مخاطباً الشعب الفرنسي : "**يجب تذكيركم أيها السادة بأهمية مسؤولياتكم تجاه اللغة والثقافة لأن ثقافة فرنسا ولغتها هي**

تعبير عن وجدانها. وأشار إلى ضرورة تشـجيع اسـتخدام اللغة الفرنسية ومساندة من يفعل ذلك في الأقطار الأخرى.

٢) الصراع في كندا

ظلت كندا تحت السيطرة الفرنسية ثلاثة قرون، أي من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشـر والآن وبعـد قرنين من الزمان مازالت الفرنسية لغة للأعمـال الإداريـة والثقافية في إقليم (الكبيك) ومازال الكنديون في هذا الجـزء يتعصبون للثقافة وللغة الفرنسية ضد الإنجليزية وهي اللغـة المستخدمة للبلاد كلها مما نتج عن وجود انقسام لغوي وثقافي داخل كندا وذلك يهدد الوحدة الوطنية لكندا كلها انطلاقاً مـن هذه المقاطعة.

وقد نشر هذا في ١٩٨٩/١/٢٧ في جريـدة لومونـد الفرنسية.

وفي عام (١٩٨٩) صادق المجلس الـوطني للحكومـة الليبرالية للسيد (بوراسا) على مشروع قانون (اللغة) يتعلـق بتخفيض استعمال اللغة الفرنسية بصفتها لغة إعلانـات فـي الميدان التجاري، وهذا يقطع الاتفاق الموجود منـذ إحـدى

عشرة سنة في ميثاق اللغة الفرنسية. ولهذا قررت الحكومـة ضرورة ازدواجية اللغة.

(الميثاق يحـدد أن الإعلانـات لا تكـون إلا باللغـة الفرنسية)

لهذا قامت مظاهرات لتأكـد إجـراءات ميثـاق اللغـة الفرنسية فيما يتعلق بالإعلانات.

أقام التجار الناطقون بالإنجليزية دعوى أمام المحكمـة العليا مطالبين بتلك الازدواجية حتى يتمكنوا من الإعلانـات باللغة الإنجليزية، مذكرين بضرورة حرية التعبيـر، فحكـم القضاء لصالحهم.

ولهذا أقرت حكومة السـيد (بوراسـا) قانونـاً يسـمح بالازدواجية داخل كل أنواع النشاطات التجارية.

ثار سكان (الكبيك) وقاموا بمظاهرات للتعبير السياسي، فظهر على الوجود (الاتحاد الكبيكي) الفرنسي الذي كـرس مجهوده للحفاظ على الفرنسية في الإقليم.

ومازال الصراع مستمرا بين الانجليزية والفرنسية فـي هذا الإقليم إلى الحد الذي جعل الحكومة الكندية تصادق على

قانون رقم (١٧٨) الذي يقـر باسـتمرار منـع الملصـقات المزدوجة خارج المحلات، ويسمح به فقط داخل المحـلات الصغيرة التي لايزيد عدد العمال فيها عن خمسين عاملا.

وانتهى الأمر بتهديد الوحـدة الوطنيـة عنـدما علـت الأصوات في الإقليم بالمطالبة باسـتقلال مقاطعـة الكبيـك (الناطقة بالفرنسية) عن بقية المقاطعات الأخـرى الناطقـة بالإنجليزية في كندا. وذلك إثر مظاهرات عارمة عاشتها كندا لم يشهد تاريخها أعنف منها، إلى أن داسوا العلـم الـوطني الكندي بأقدامهم، واستبدلوه بعلم خاص بهم مرددين أناشـيد فرنسية، مما اعتبر ذلك تهديدا خطيراً للوحدة الوطنيـة فـي كندا أدى إليه التعصب القومي داخل إقليم الكبيك.

٣) الصراع في بلجيكا

استقرت بلجيكا بعض الوقت من عهد (شارلمان)، لكـن الوضع قد انهار سريعا، وانتهى الأمر بتمزيق بلجيكـا إلـى مقاطعتين:

١- مقاطعة تابعة لفرنسا تتحدث الفرنسية.

٢- الثانية تمزقت إلى إمارات مستقلة مستخدمة اللغـة الفلامنكية أو اللغة الهولندية.

عندما استقلت بلجيكا عن هولندا (١٨٣٠) لم تكن هنالك لغة وطنية مشتركة، فقد تـوزع الأمـر بـين الفرنسـية و الفلامندية، واعتبرت اللغة الفرنسية لغة أرقى من الفلامنديـة وترتب على ذلك ما يلي:

١. صارت اللغة الفرنسية لغة رسـمية للدولـة فـي الإدارة والمؤسسات المختلفة.

٢. أصبحت أوسع انتشارا من الفلامندية.

٣. زادت مقاومة سـكان المنطقـة الفلامنديـة للغـة الفرنسية، مما شكل خطورة على الوحدة الوطنيـة. فشـكلت الدولة لجنة خاصة لدراسة مطالب هذه الحركة، وكانت هـذه المطالب كما يلي:

١. أن تصبح اللغة الفلامندية لغة التعليم في المـدارس والمعاهد والجامعات الواقعة في المناطق الناطقة بالفلامندية.

٢. أن تنشر جميع قوانين المنطقة باللغتين الفلامنديـة والفرنسية.

٣. يجب على القضاة والمحامين والممثلين الدبلوماسيين أن يتعلموا اللغتين.

يجب أن يقسم الجيش إلى كتيبتين: فلامندية وكتائب أخرى ناطقة بالفرنسية، ليكون التعامل مع كل كتيبة بلغتها. وانتهى الأمر بصيرورة اللغتين الفلامندية والفرنسية لغتين رسميتين في البلاد، ولا أفضلية لواحدة على أخرى.

واليوم أصبحت بلجيكا مقسمة إلى منطقتين تفصلهما حدود لغوية. بحيث تطبع الجرائد ويبث الإرسال الإذاعي والتلفزيوني بلغتين مختلفتين، كذلك انقسمت البلاد اقتصادياً إلى منطقتين مختلفتين، حيث تجمعت الصناعة في المنطقة الناطقة باللغة الفرنسية على أساس أنها المنطقة الأرقى تبعاً للغة.

وستظل اللغة عاملاً قوياً على تهديد الوحدة الوطنية في بلجيكا، حيث توجد في العاصمة بروكسل لغتان، الفلامندية والفرنسية، على حين ينقسم سكان البلاد إلى منطقتين مختلفتين.

وقد كانت اللغة سبباً في سقوط أغلب الحكومات التـي تولت السلطة، والتي بلغت (٦٣) ثلاثا وستين حكومة منـذ عام (١٩٣٣).

وفي مقال بعنوان: **حرب اللغات تهدد مستقبل بلجيكـا كدولة موحدة** بيانات تفصيلية عن هذا السقوط فـي مجلـة لوموند الفرنسية.

٤) أسبانيا

في أسبانيا يظهر الصراع قوياً بين اللغـة الكاتالونيـة واللغة القشتالية في إقليمين هما:

١- كاتالونيا

٢- مقاطعة الباسك

١ – كاتالونيا.

تظهر فيها الازدواجية اللغوية بـين اللغـة الكاتالونيـة واللغة القشتالية. لهذا اتخذ القادة الكاتالونيون اللغـة وسـيلة لتحريض الجماهير ضد الحكومة المركزية في أسبانيا، وذلك

مثال بارز للتعصب اللغوي الذي أدى إلى المطالبة بانفصال الإقليم، بل واتخذت اللغة وسيلة لتحريض الجمهور وأيضـاً وسيلة للقيام بمظاهرات ضد الوجود الأمريكي في أسـبانيا، مما أدى إلى قتل كثير من الأمريكان في كاتالونيا.

٢- مقاطعة الباسك

لا يقل الصراع اللغوي في هذه المقاطعة عن الصـراع في إقليم كاتالونيا، وأيضاً طالب أهـل الإقلـيم بالاسـتقلال وأقاموا المظاهرات الصاخبة ضد الحكومة الأسبانية علـى أساس اللغة، مما أدى إلى جر المقاطعة إلى صراعات أخرى سياسية وعسكرية عنيفة، لا مع أسبانيا وحدها، بل مع فرنسا أيضاً.

٥) الصراع اللغوي في الهند

أشار صامويل هنتنجتون إلى ذلك الصراع المجسد بين قلة حاكمة تتكلم الإنجليزية وكثرة محكومة تتكلم الهندية، ولا يقل الصراع ضراوة في الهند عن الصـراع فـي كنـدا أو أسبانيا، حيث يؤدي الصراع بين اللغة الإنجليزيـة واللغـة الهندية إلى الصدام المستمر. فمنذ احـتلال الإنجليـز للهنـد

استمرت اللغة الإنجليزية لغة رسمية للبلاد، حاول مجموعـة من الهنود تبني اللغة الهندية لغة وطنية رسمية، وخاصة أن غير المتحدثين بالإنجليزية ليسوا مفضلين للالتحاق بـالإدارة والمؤسسات السياسية. غير أن المتحدثين باللغة الإنجليزيـة والذين يتبوءون مراكز كبرى يعارضون ذلك ويعتبـرون أن محاولة الذين ينادون بجعل اللغة الهندية لغة رسمية للدولـة تعد عملاً إمبريالياً يقومون به، ويجب الحذر مـنهم. وزادت حدة التوتر بين الفريقين لأن الهنود الذين يتحدثون بالهنديـة في الشمال يهدفون إلى الهيمنة على الحكومة الوطنية، فهـم يرفضون ازدراء سكان الداخل الذين يتحـدثون بالإنجليزيـة لهم. إنه صراع لغوي يمكن أن يؤدي إلى انفجار مروع في أية لحظة.

٦) الصراع اللغوي في الجزائر

كان هدف فرنسا من استعمار الجزائر لا لنهب الثروات أو احتلال الأرض فقط، بل مقصدها فرنسة العقل العربـي، وبالتالي محو الانتماء العربي والهوية العربية مـن نفـوس

الجزائريين، وذلك عن طريق فرض اللغة الفرنسية، ومن هنا قرروا ما يلي:

١.حظر استعمال اللغة العربية في المجالات الرسمية حظراً مطلقاً، والتأكيد على ضرورة استخدام الفرنسية.

٢. عدم السماح للجزائريين بتأسيس مدارس ومعاهد لتعليم العربية.

٣.أن تؤلف الكتب المدرسية باللهجة العامية في حالة الحاجة إلى عمل كتاب بالعربية.

٤.صدر قرار عام (١٩٣٨) بضرورة دعم خطة محاربة اللغة العربية الذي ينص على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا يجوز تعليمها في المدارس سواء كانت حكومية أم شعبية. وهكذا يصل الصراع إلى اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلد عربي.

ومن المقولات المعلنة التي تؤكد طبيعية هذا الصراع ما يلي:

١. قول أحد الحكام الفرنسيين لجيشه المنطلق إلى الجزائر للاستيلاء عليها:

"**علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا فقد حكمناها فعلاً**" ولنتأمل كيف تكون اللغـة حاكمـة لدولة وشعب

٢. بعد مائة عام على احتلال الجزائر يقول أحد الحكام الفرنسيين عن الجزائريين:

"**يجب أن نزيل القرآن العربي مـن وجـودهم ونقتلـع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم**"

<u>الصراع اللغوي في مصر</u>

يبدو أن الصراع اللغوى فى مصر أقل حدة مـن بقيـة الصراعات فى دول كثيرة من العالم ، ففـى مصـر بـدأ الصراع في مرحلة مبكرة في نهاية القـرن الثـامن عشـر واستمر مع وجود الحملة الفرنسية لكنه لم يدم طويلاً لعـدم استقرار الفرنسيين في مصر لفترة طويلـة، ومـن أقـوال قادتهم:

١. يقول نابليون لجيشه المنطلق إلى مصر للاسـتيلاء عليها:

"**علموا الفرنسية، ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن**"، وما الجرائد والمطابع التي تنشر بالفرنسية إلا صورة لذلك.

ثم زاد الأمر صراعاً مع الإنجليز، ويتمثل ذلـك فـي صور كثير منها:

٢. دعوة وليام ويلكوكس (المفتش بالأشغال المصـرية) وكذلك ولمور ودوفرين إلى استخدام العاميـة بـديلاً عـن الفصحى، واعتبروا ذلك أمراً ضرورياً، والهدف مـن ذلـك خلق ازدواجية حقيقية تؤدي إلى الضعف اللغوي، وقد اقتنـع بعض المصريين بذلك من أمثال سلامة موسى فنادى بمثـل ما نادوا به.

٣. وظهر الصراع في صور أخرى كثيرة مثل وجـود الجامعة الأمريكية فى القاهرة والمعاهد البريطانية في كـل مكان، والمدارس الخاصة التي تُلغي العربية من مناهجها، بل وأحياناً تهيئ للتلاميذ سكناً داخلياً لتوفير القدرة على التـأثير فيهم.

صراعات أخرى

وهناك صراعات أخرى كثيرة في أماكن متفرقـة مـن العالم مثل:

- الصراع في بقية دول المغرب العربي
- الصراع في موريتانيا بين العربية والفرنسية واللغات المحلية.
- الصراع في نيجيريا
- الصراع في قبرص
- الصراع في السودان
- الصراع في سري لانكا
- الصراع في السنغال

الصراع في موريتانيا

هو صراع قوييمزج اللغة بالدين، فمتحدثو العربية هـم المسلمون، ومتحدثو الفرنسية هم المسـيحيون. حينمـا زاد الصراع ضراوة أصدرت الحكومة قراراً بجعل اللغة العربية

لغة رسمية إلى جانب الفرنسية، مع احترام اللغات المحليـة مثل: (السونوكية – الوولف التكرورية).

وهناك صراع لغوي من نـوع آخـر بـين (البـيض) المتحدثين بالعربية وهـم مسـلمون، و(السـود) المتحـدثين بالفرنسية وهم مسيحيون، حيث يرفض (السود) تعلم اللغـة العربية رفضاً تاماً.تعصبا للغتهم

الصراع في نيجيريا

ظهر الصراع بين المنظمـات المسـيحية والمسـلمين فالمنظمات المسيحية يمثلها: الاتحـاد المسـيحي النيجيـري ويتحدث أهله مجموعة من اللغات أطلقـوا عليهـا (لغـات وطنية) وهي (الهوسا، الفولاني، أيبو، يوريا) أما المسلمون فيتحدثون اللغة العربية.

ومن الواضح أن تسمية (اللغات الوطنيـة) للمسـيحيين تعني رفض اللغة العربية. وهي ليست عندهم مـن اللغـات الوطنية وكذلك رفض المسيحيون أن يتعـايش المسـلمون معهم داخل المجتمع النيجيري.

الصراع في قبرص

وهو مجسد بين الأتراك المسلمين ويتحدثون اللغة التركية واليونانيين المسيحيين ويتحدثون اللغة اليونانية ، وهو صراع لغوي ديني كما يبدو على الحدود التركية اليونانية وللزائر أن يلحظ ذلك في بناء كنيسة وبناء مسجد قريب منها.

الصراع في السودان

بين الشمال وهم المسلمون المتحدثون بالعربية وهي اللغة الرسمية في السودان، والجنوب المسيحي المتحدث باللغة الإنجليزية، حيث إن الإنجليزية هي اللغة الرسمية للإقليم الجنوبي وبجوارها تعيش لغات أخرى ولهجات غير عربية، وهي بعض لهجات سودانية وأثيوبية وأفريقية أخرى مثل (السواحلية والهوسا والفولاني والبرق والبرنو)، ويمثل ذلك النوع من الصراع أخطر نموذج للصراع المركب اللغوي العرقي الديني.

الصراع في سري لانكا (سيلان سابقاً)

يتجسد الصراع في سري لانكا بين التاميل والسنهاليين فالتاميل من أصول هندية ديانتهم الهندوسية يتحدثون اللغة التاميلية، فهي لغة التعليم، وهي أيضاً اللغة الرسمية.٠أما السنهاليون فديانتهم البوذية، وإن كانوا أيضاً من أصول هندية ويتحدثون اللغة السنهالية.

ثم يأتي المسلمون الذين يتحدثون لغة التاميل غير أنهم في صراع دائم مع التاميل. والسنهاليين لغوياً واجتماعياً فهم يريدون أن يستقلوا لغوياً وإقليمياً.

لماذا كانت اللغة العربية محوراً للصراع؟

لتوضيح ذلك ينبغي علينا أن نعرض مجموعة الحقائق التالية لينجلي الأمر:

١. اللغة العربية تسهم بشكل كبير في تشكيل وعينا الحضاري على كافة المستويات والأصعدة، مما يربطنا بتراثنا وتاريخنا. وكان (دوفرين) في مصر حريصاً على أن يفرغ اللغة العربية من محتواها بتحويلها إلى العامية أو إلى

حروف لاتينية، حتى يقتل هذا الوعي، ويفصلنا عن تاريخنا وتراثنا.

٢. لسان كل أمة هو تاريخها وحضارتها وعمق الإحساس بها.

٣. الحضارات –كما يقول صامويل هنتنجتون- هي كيانات ثقافية وليست كيانات سياسية، أو هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل: القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم، وفيها يعرف الناس أنفسهم بالنسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات ...الخ، ومن هنا تحتل الفروق الثقافية الأساس والمركز الأول في التصنيف بين البشر أفراداً أو جماعات.

هنا نطرح سؤالاً مهما: كيف تأتي الفروق الثقافية؟

إنها تأتي من اللغة قراءة وفهماً. فاللغات –كما نعلم- هي المحرك لفعل المعرفة وبناء الثقافة، وهي التي تساعد البشر على الارتقاء بحضاراتهم، وبطبيعة الحال لا أحد يريد للعرب الرقي الحضاري

٤. الوعي باللغة واللغة نفسها وجهان متكاملان للوجود العربي، وللإنسان العربي، في عملية الوجود وإعادة الوجود، الخلق وإعادة الخلق

لهذا كله فإن الصراع اللغوي يحتل المركز الأول في أتون الصراعات، حتى وإن بدا الصراع اقتصادياً أو سياسياً أو دينياً أو اجتماعياً في شكله العام، فإن محور الصراع إنما ينطلق من اللغة، فهي ناقلة للثقافة وحاملة لروح الحضارة التي تعبر عنها هذه اللغة.

ومن هنا كان التعصب ضدها. والصراع حولها. مما يخلق فينا روح الشعور القومي ويبعث روح الانتماء والولاء في نفوسنا أفراداً وجماعات.

البقاء للأقوى في عالم الصراع.

سنعود في قرننا الحالي إلى عالم الغاب ليكون البقاء للأقوى لغة وفكراً وثقافة. وخاصة أن طبيعة الصراع هو إلغاء ثقافة الآخر وهويته وفكره، ولأنه لا حضارة بدون ثقافة، ولا ثقافة بدون لغة، فإذا ضعفت اللغة بضعف أهلها ضعفت حضارتهم وثقافتهم.

وقد أشار صموئيل هنتجتون في كتابه (صدام الحضارات) (ص١٠٤) إلى القضية كما يلي:

العلاقة متوازنة بين قوة اللغة بقوة أهلها، وكذلك ضعف اللغة بضعف أهلها. وقد استند في كلامه على أدلة كثيرة منها:

١. انهيار الاتحاد السوفييتي لازمه انهيار في استخدام اللغة الروسية في المستعمرات أو المناطق التي كانت تابعة للنفوذ السوفييتي.

٢. القوة الاقتصادية لليابان حفزت غير اليابانيين على تعلم اللغة اليابانية، للتعامل مع أهلها الناطقين بها.

٣. النمو الاقتصادي للصين أحدث ازدهاراً للغة الصينية، حيث حلت الصينية محل الإنجليزية في هونج كونج، وفي جنوب شرق آسيا أصبحت الصينية هي لغة الصفقات العالمية.

٤. تدهور حضارة الغرب بالنسبة لبقية الحضارات الأخرى أحياناً، قلل من استخدام اللغة الإنجليزية.

ثانياً: لماذا تأجل الصدام حتى هذا الوقت؟

من الملاحظ أن الصدام الحضاري قد أخذ شكلاً عنيفـاً وحاداً في الفترة الأخيرة، على حين كان هادئاً سـاكناً فـي الفترة السابقة، وهذا أمر يرجع إلى الحركـة الاستشـراقية البريطانية، حيث كان لها دور فعال في تأجيل هذا الصـدام. فمنذ القرن الثاني عشر أقبل الكثيرون من المستشرقين علـى تعلـم اللغــة العربيــة مــن أمثــال المستشــرق أدلارد ADELARD معلم هنري الثاني، حيث أبدى إعجابه باللغة العربية في كتابه (المسائل الطبيعية) وأعلن عن حبـه لهـا قائلاً:

سأدفع عن مذهب العرب، ولست أعبـر عـن رأيـى الشخصي، وأن دليلي هو العقل، وقد تعلمت شيئاً من أساتذتي العرب. ثم ترجم هذا الحب عندما نقل كثيراً مـن الأعمـال العربية إلى الإنجليزية. وكان لهذا العمل أثـر كبيـر مـن ناحيتين:

١. تشجيع غيره من العلماء البريطانيين في السعي إلى طلب المعرفة العربية، لغة وعلوماً، من أمثال دانيال وميكائيل سلوت وغيرهما.

٢. تشجيع التفاعل مع الثقافة العربية على المستوى العام في بريطانيا وغيرها، مما أدى إلى تقارب حضاري أجل فترة الصدام كثيراً على الرغم من رفض الكنيسة البابوية لهذا الاتجاه نحو الحضارة الإسلامية واللغة العربية والدليل على ذلك ما أصدرته من مراسم الطرد والحرمان في حق المتعاطفين مع الحضارة الإسلامية.

لماذا نجحت الإنجليزية وصارت بهذه القوة العالمية؟

لنعترف أولاً: أن قوة اللغة من قوة أهلها، كما أشار صمويل هنتنجتون، وثانياً أن الإنجليزية أصبحت سهلة على متحدثيها وكاتبيها، وذلك بسبب الجهود الضخمة التي بذلت لنشرها وتسهيل سبل تعليمها، إضافة إلى الحركة المعجمية الكبيرة التي تخدم الإنجليزية بكل الأشكال والألوان، سواء المعاجم الإنجليزية العربية أو الإنجليزية الإنجليزية أو الإنجليزية الألمانية أو الإنجليزية الفرنسية.الخ فهم يخططون بشكل جيد لهذه المعاجم في تأليفها وانتشارها.

نشير أيضاً إلى حجم المؤسسات والهيئات التـي تخـدم الإنجليزية في تنميتها ونشرها. والحفاظ عليها كلغة عالميـة، إضافة إلى حجم النفقات الكبيرة التي تنفق من أجل تسـهيل وصولها إلى العالم بشكل سهل. ويتمثل ذلك فيما يلي:

١. الجامعات الأمريكية في كل بلدان العالم، حيث تقوم بالتدريس لطلابها باللغة الإنجليزية، على حين تدعم العاميات والدعوة إلى إحيائها في هذه البلدان، للعمـل علـى إيجـاد الانقسام اللغوي، وعدم التوحد، مما يقلل الانتمـاء الـوطني أيضاً.

٢. المعاهد البريطانية في كل بلدان العالم، حيث تسهل حصول الطلاب على الكتب الصادرة باللغة الإنجليزية، ممـا ييسر لهم سبل الاتصال بالثقافة الإنجليزية.

٣. المدارس الأمريكية والانجليزية في كل دول العالم، حيث يتعلم الطلاب الإنجليزية نطقاً وكتابة وفكراً من الصغر، دون أي اتصال بلغتهم في بلادهم، ويعزلـون الطـلاب عـن مجتمعاتهم وذلك بإيجاد (سكن داخلي لهم) مما يزيد الفجـوة بينهم وبين مجتمعاتهم وثقافتهم.

٤. هيئة الإذاعة البريطانية BBC ولها دور كبير من خلال برامجها المتنوعة لتعليم الإنجليزية، مثل برنامج: "الإنجليزية من خلال الإذاعة والتلفزة".

وتصل هذه البرامج إلى جمهور عريض وبالمجان، على حين أن برامج تعليم العربية في الإذاعة والتلفزة العربية هي برامج مشوهة وغير مكتملة، تقدم بدون تنظيم أو تخطيط، بل وربما هى مبنية على اجتهادات فردية من المذيعين فقط.

٥. وكالة الإعلان الأمريكية USIA

٦. وكالة التنمية الدولية AID

٧. فرق السلام Peace Groups

٨. إدارة الدولة SD

٩. إدارة الدفاع DD

وقد فصل القول عن هذه المؤسسات الدكتور محمد داود في كتابه: (دموع الشوباشي بين يدى سيبويه) ص٣٠ وما بعدها.

الحكومات والقواد يشعلون فتيل الصراع اللغوي.

أدرك كثير من الحكام والمسئولين في العالم الغربي منذ فترة مبكرة قيمة اللغة في صنع ثقافة الأمم وتأسيس حضارة راقية وتأكيد الهوية، فكانت تصرفاتهم القولية والفعلية مبنيـة على هذه الرؤية التي تعلي من شأن لغتهم، وتقلل من شـأن اللغة العربية. وفيما يلي نماذج من ذلك:

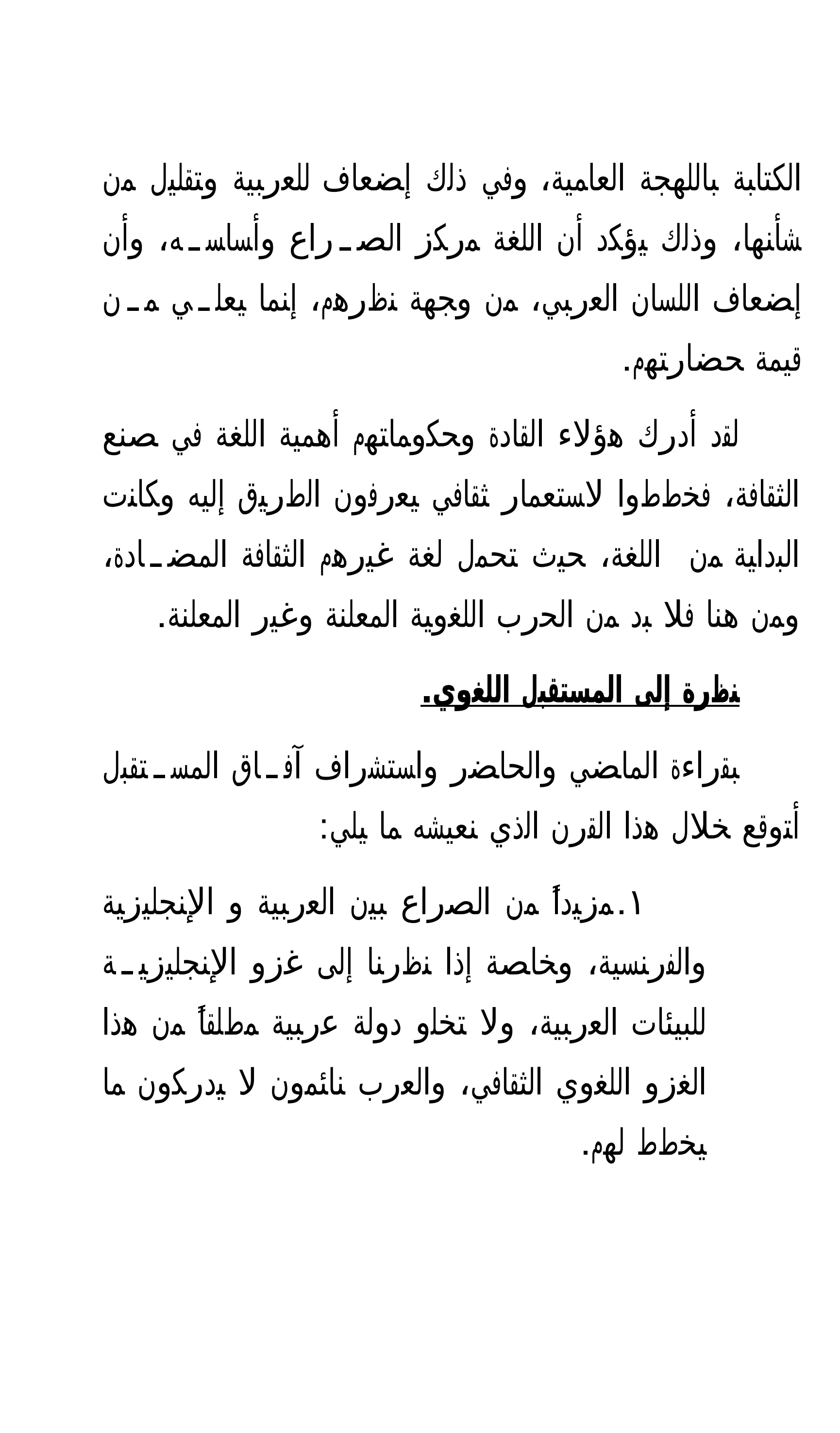
١. قول نابليون لجيشه المنطلق إلى مصر (وقـد مـر ذكره).

٢. أقوال وقرارات الحكام الفرنسيين في قضية الصراع اللغوي في الجزائر (وقد مرذكر كل ذلك).

٣. قول رئيس وزراء فرنسا في قضية الكبيك.(وقـد مر ذكر ذلك)

٤. البرلمان الفرنسي يشكل لجنـة لغويـة للاهتمـام بالفرنسية ونشرها وتفعيل دورها عالمياً ضـد غيرهـا مـن اللغات.

٥. دعوة بعض الأوربيين، وهم مسئولون كبـار إلـى ضرورة كتابة العربية بالحروف اللاتينية أو التحويـل إلـى


الكتابة باللهجة العامية، وفي ذلك إضعاف للعربية وتقليل من شأنها، وذلك يؤكد أن اللغة مركز الصـراع وأساسـه، وأن إضعاف اللسان العربي، من وجهة نظرهم، إنما يعلـي مـن قيمة حضارتهم.

لقد أدرك هؤلاء القادة وحكوماتهم أهمية اللغة في صنع الثقافة، فخططوا لاستعمار ثقافي يعرفون الطريق إليه وكانت البداية من اللغة، حيث تحمل لغة غيرهم الثقافة المضـادة، ومن هنا فلا بد من الحرب اللغوية المعلنة وغير المعلنة.

نظرة إلى المستقبل اللغوي.

بقراءة الماضي والحاضر واستشراف آفـاق المسـتقبل أتوقع خلال هذا القرن الذي نعيشه ما يلي:

١. مزيداً من الصراع بين العربية و الإنجليزية والفرنسية، وخاصة إذا نظرنا إلى غزو الإنجليزيـة للبيئات العربية، ولا تخلو دولة عربية مطلقاً من هذا الغزو اللغوي الثقافي، والعرب نائمون لا يدركون ما يخطط لهم.

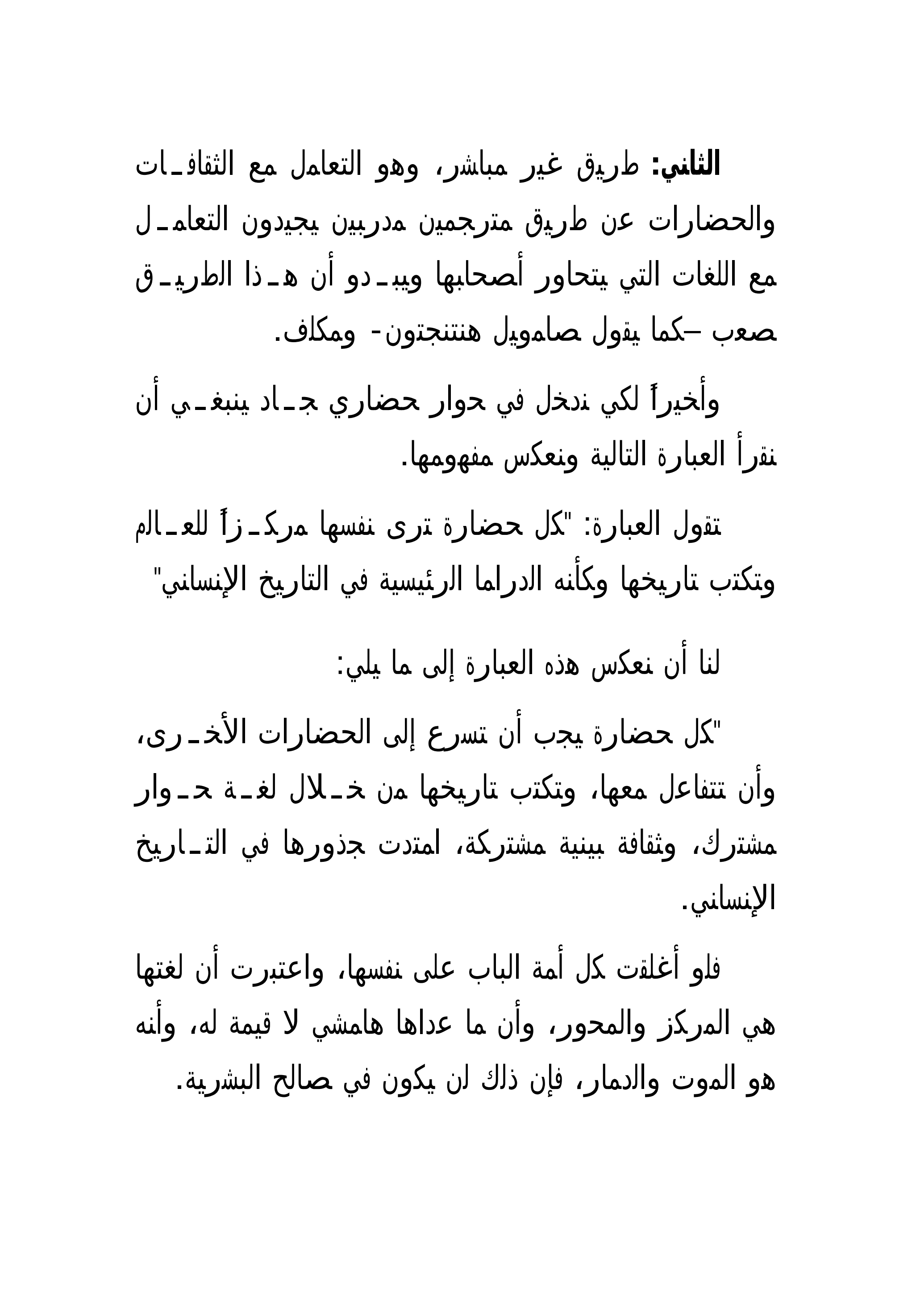
٢. أتوقع صراعاً عنيفاً وحاداً بين العربية والعبرية، تلك اللغة التي أحياها أهلها من موت واعتنوا بها وعملوا على تطويرها لينافسوا بها العربية، وسينتبه العرب من غفلتهم والعبرية تغزو العربية فكراً وثقافة.

٣. أتوقع مزيداً من عدم اعتزاز العربي بلغته، فنحن لا نعتز بها اعتزاز الألمان أو الأسبان أو الإنجليز أو الفرنسيين. وأن عقدة الخواجة ستسهم بشكل فعال في التقهقر اللغوي العربي.

<u>الطريق الحقيقي للتفاعل الحضاري اللغوي.</u>

هناك طريقان:

الأول: مباشر، وهو التعامل مع الثقافات والحضارات المختلفة عن طريق التعلم اللغوي للغة التي يتعامل بها الآخرون، ويصنع ذلك نوعاً من التفاعل وعمقاً في الحوار، ويسهل معرفة الخلفيات الفكرية والظلال الثقافية لحضارة ما، مما يساعد على تنمية درجة الوعي والتفاهم الحقيقي.



الثاني: طريق غير مباشر، وهو التعامل مع الثقافات والحضارات عن طريق مترجمين مدربين يجيدون التعامل مع اللغات التي يتحاور أصحابها ويبدو أن هذا الطريق صعب –كما يقول صامويل هنتنجتون- ومكلف.

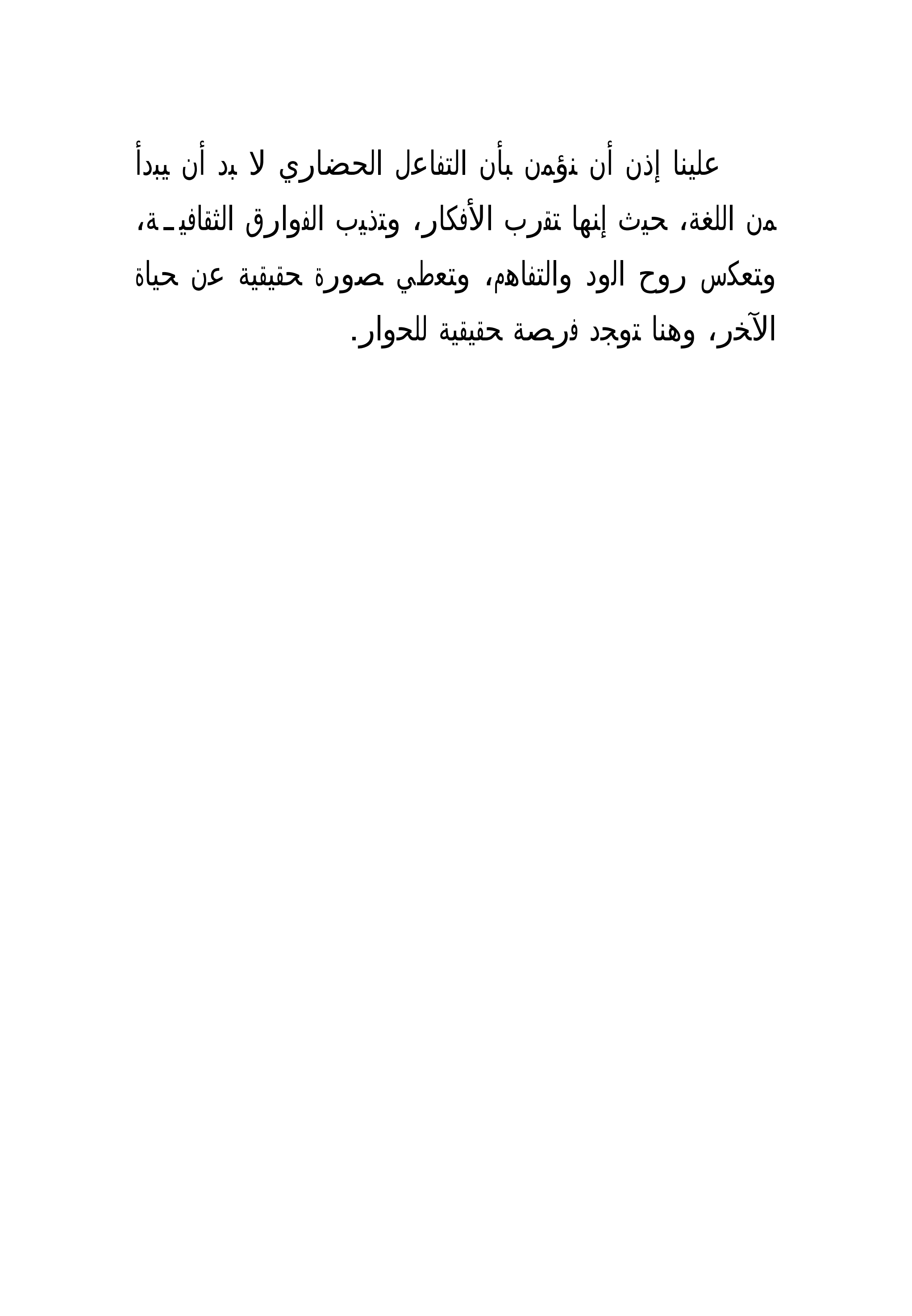
وأخيراً لكي ندخل في حوار حضاري جاد ينبغي أن نقرأ العبارة التالية ونعكس مفهومها.

تقول العبارة: "كل حضارة ترى نفسها مركزاً للعالم وتكتب تاريخها وكأنه الدراما الرئيسية في التاريخ الإنساني"

لنا أن نعكس هذه العبارة إلى ما يلي:

"كل حضارة يجب أن تسرع إلى الحضارات الأخرى، وأن تتفاعل معها، وتكتب تاريخها من خلال لغة حوار مشترك، وثقافة بينية مشتركة، امتدت جذورها في التاريخ الإنساني.

فلو أغلقت كل أمة الباب على نفسها، واعتبرت أن لغتها هي المركز والمحور، وأن ما عداها هامشي لا قيمة له، وأنه هو الموت والدمار، فإن ذلك لن يكون في صالح البشرية.



علينا إذن أن نؤمن بأن التفاعل الحضاري لا بد أن يبدأ من اللغة، حيث إنها تقرب الأفكار، وتذيب الفوارق الثقافيـة، وتعكس روح الود والتفاهم، وتعطي صورة حقيقية عن حياة الآخر، وهنا توجد فرصة حقيقية للحوار.